

تعليم الكبار

في بعض الأقطار الأوروبية والأمريكية

ذكرت الصحف أن وزارة المعارف تدرس في الوقت الحاضر مسألة تعليم الكبار . وهذه مسألة قد سبقتنا إليها الأمم الأوروبية والأمريكية وعالجتها ، فهناك جمعيات تعنى بهذا الموضوع وتجمع كل ما يتصل به من ترقية هذا التعليم وتنويعه ووسائله ، وهي تصدر المجلات التي توزع على أعضاء هذه الجمعيات للتنوير حتى تستفيد كل هيئة بألوان النشاط الذي تقوم به الهيئات الأخرى .

وتعلم الصبيان إلى سن الرابعة عشرة وأحيانا إلى سن السادسة عشرة قد أصبح إجباريا في جميع الأمم المتقدمة تقريبا ، ولكن الشاب الفقير الذي يترك المدرسة في هذه السن قد يعيش في وسط زراعي أو صناعي لا يساعده على متابعة التعليم . بل هو أحيانا قد يقع في أزمات مالية تعوقه عن شراء الجريدة اليومية التي توسع آفاقه الذهنية . ثم هذه المعارف التي حصل عليها في المدرسة إلى سن السادسة عشرة ليست بالمعارف التي تشبع الطموح الروحي وتصل بين الإنسان وبين حركة الرقي الاجتماعي والثقافي في العالم . ولذلك أسست الجمعيات والمدارس بل أيضا المكتبات وسيلة لزيادة التعليم واستكمال الدراسة .

والمكتبة المجانية هي أعظم الوسائل لتعليم الكبار . وقل أن يخلو حي في مدينة أوروبية أو أمريكية من مكتبة مجانية قد أسسها رجل أو امرأة من الأبرار ، فهو يشتري البناء والكتب ويحس ثابها وقتنا تؤدي منه نفقات الموظفين وثمان الكتب الجديدة واشترابات الجرائد والمجلات . وسكان الحي يقصدون إلى هذه المكتبة للقراءة واللاستعارة ، وبناء المكتبة هو على الدوام متواضع ، وجميع الكتب شعبية ، فلست تجد تلك الكتب الضخمة التي يحتاج إليها الاختصاصيون في التاريخ أو الطبيعيات أو الكيمياء لأن عامة الشعب التي قصد إليها مؤسس هذه المكتبة لا يحتاجون إلى هذه الكتب .

ويزيد الأمر يكون هذه الحركة نشاطا بإيجاد المكتبة المتحركة التي تقصد إلى الريف وتعرض الكتب على القرويين لكي يختاروا منها ما يتفق ومزاجهم الثقافي ثم تعود إليهم بعد نحو شهر لكي يستبدلوا بالمجلدات التي قرأوا مجلدات أخرى . وفي أثناء هذا الشهر تكون " المكتبة المتحركة " قد زارت نحو ثلاثين أو أربعين قرية أخرى .

والوسط الزراعى هو الوسط الذى يتعرض سكانه لانقطاع الصلة بينهم وبين الثقافة. ومن هنا العناية الكبيرة التى تبذلها الهيئات الحرة والهيئات الحكومية فى تعليمهم سواء بالمكتبة أو بالمدرسة. والمثل الأموذجى الذى يضرب على الدوام فى هذا الصدد هو المدارس الشعبية الدنمركية. فان دنمركا قطر زراعى كبير العناية بالزراعة العلمية التى تمتاز من زراعتنا بالمقدار الذى يتنازه النجار الدقى من النجار الريفى. والفلاحون هناك لهذا السبب فى حاجة إلى ما ينير أذهانهم عن العلوم التى تتصل بالزراعة.

وهذه المدارس تسير على النظام الداخلى فى الأتلب، وأحيانا على النظام الخارجى. ويفد إليها الفلاحون من الأجراء والفقراء فيندمجون فى نظام داخل نحو شهرين أو ثلاثة أشهر بما يتفق عندهم وقلة العمل الزراعى. وهناك فى هذه المدارس يدرسون دراسات عالية فى العلوم والفلسفة والاقتصاد والاجتماع بما ينير أذهانهم فى عملهم وفى غير عملهم. وقد أخذت تروج وأسوج بنظام قريب من هذا النظام فى تعليم الكبار من القرويين.

وسويسرا من الأقطار التى عنت بتعليم الكبار أيضا. وفيها ثلاثة أطرزة من المدارس الخاصة بهذا التعليم وهى :

(١) مدارس الشعب العالية فى زوريخ وبرن وبازل.

(٢) مراكز تعليم العمال ويدخل فيها تعليم المتعطلين.

(٣) مؤسسات للتعليم على النظام الداخلى.

وليس التعليم مقصورا على محاضرات أو دروس مدرسية. وإنما هو يتناول الأبحاث الاجتماعية والتدريب الفنى والمناقشات السياسية وبمحت العلوم والآداب. ويقوم بتنظيم هذا التعليم هيئات حرة مثل الجمعيات الرياضية ونقابات العمال والجمعيات التعاونية. وقد تحصل إحدى هذه الهيئات على إعانة حكومية أو تقوم وحدها بالنفقات. وجميع الطلبة يؤدون مصروفات مدرسية إلا إذا كانوا متعطلين فإنهم فى هذه الحال يتعامون بالمجان. والمصروفات مع ذلك ليست كبيرة، إذ هى تتراوح بين ٢٥ و ٣٢ قرشا لكل مادة. ولكى نعرف طراز الطالب الذى ينتمى إلى هذه المدارس نقول إن "مدرسة الشعب العالية فى زوريخ" كان بها من الطلبة من الجنسين فى عام ١٩٣٧ ما على :

(١) ٢٥ فى المائة من عمال المصانع.

(٢) ٣٣ فى المائة من مستخدمى المكاتب.

(٣) ٢٥ فى المائة من أرباب البيوت.

(٤) والباقيون من المتعطلين.

أما مؤسسات التعليم على النظام الداخلى فقد قام بتأسيسها الدكتور فرنزفارتفيلر . وهو يرى أن لهذا النظام مغزى روحيا من حيث جمع الأفراد من الجنسين ومن البيئات المختلفة لكي يتقنوا أنفسهم ويرقوا أذاهم ويمتدحوا تحت سقف واحد للمناقشة الحرة والدرس المتحرر . وأسوج من الأمم التي عنت أكبر العناية بالتعليم الشعبي للكبار . وقد زارها المستر مارفيك المدرس في جامعة أدنبره ووضع كتيباً في نظام هذه المؤسسات في ٧٢ صفحة مؤلفة من ستة فصول هي :

(١) مدارس الشعب العالية .

(٢) المحاضرات الشعبية العامة .

(٣) حققات الدرس والدراسة في الاجازات .

(٤) الدراسة بالمراسلة وأحاديث الراديو .

(٥) المكتبات .

(٦) التعليم بغير الطرق الرسمية .

وتعنى فنلندا كذلك بتعليم الشعب بعد اجتياز سن الدراسة الالزامية . وهذا التعليم يجري في كليات شعبية .

وقد أنشئت الكلية الأولى في عام ١٨٩٩ في مدينة تامباى الصناعية ، وكان الغرض من إنشائها تعليم العمال الذين كانوا يعملون في مصانعها .

ولما حصلت فنلندا على الاستقلال عام ١٩١٧ وجدت هذه الحركة دافعا جديدا . فأخذت كليات الشعب تزيد حتى بلغت خمسين كلية عام ١٩٣٩ . ولا يجوز لأحد أن يتحقق بهذه الكليات إلا إذا تجاوزت سة السادسة عشرة . ويبلغ عدد الطلبة في هذه الكليات نحو عشرين ألفا .

والتعليم يجري على طريقتين : طريقة المحاضرة ، وطريقة الدرس . والأولى هي الطريقة المتبعة في التنوير الاجتماعي العام بإلقاء محاضرات عن الاقتصاديات والفلسفة والاجتماع واللغات والآداب والموسيقا والدرامة . والأستاذ لهذه المحاضرات ينظم حلقات البحث للمناقشة . أما طريقة الدرس فيؤخذ بها في زيادة المعارف الفنية عند العامل . مثل دروس مسك الدفاتر والاحترال واللغات الحية والموسيقا الجوقية . أى أن العامل يدرس لكي يتدفع في عمله أو لكي يتروء بمهارة جديدة إلى مايق معارفه .

ولكن كليات العمال على وجه عام تتجه نحو إبعاد ثقافة اجتماعية عامة بين العمال أكثر مما تتجه نحو إلقاء دروس عن أعمالهم .

والذى يقوم بإدارة هذه الكليات والاتفاق عليها هو "جمعية العمال التعليمية" وبها نصف مليون عضو ولها ثلاثون فرعا في أنحاء البلاد . وهذه الفروع تحصل على إعانات مالية من الحكومة تتوسع بها في مجهودها الثقافي .

..

ومن هذا العرض لما يجرى في أربع أمم هي : دنمركا وسويسرا وأسوج وفنلندا يتضح للقارئ أن الأمم المتقدمة لا تقتصر في التعليم على المدارس الابتدائية التي يتعلم فيها الصبيان إجبارا الى سن الرابعة عشرة أو السادسة عشرة بل هي تعنى بإيجاد الكليات الشعبية التي تجعل العمال - عاملين كانوا أم متعطلين - على صلة دائمة حية بالثقافة الاجتماعية والعلمية والأدبية .

وهذه الصلة يراد بها قبل كل شيء التنوير العام وإن كان بعضها يزيد هذا التنوير بزيادة المعارف الفنية للعامل حتى يتكفل في فنه أو صناعته أو يزيد مهارته أو يتعلم فنا آخر قد يحتاج إليه . ولكن الغاية الأصلية هي التنوير العام والاتجاه هو على الدوام أو في الأغلب نحو الثقافة الاجتماعية . والقائمون بهذه الحركة هم أفراد الشعب أصلا . والحكومة فرعا وتبعا .

ومن هنا نفهم أن "كليات الشعب" في أوروبا ليست بدلا من المدرسة الابتدائية الإلزامية وإنما هي نتجة لها وزيادة عليها بين طبقات الشعب التي اضطر أفرادها تحصيل العيش إلى الكسب والاقطاع عن السير في مراحل التعليم المدرسي والجامعي .

وبدهى أننا في مصر نحتاج إلى مثل هذا التعليم . كما نحتاج إلى تعليم الأميين من الكبار . وذلك فإن مسألتنا أكثر تعقدا مما يواجهه المشرفون على التعليم الشعبي في كل من أوروبا وأمريكا .

هذا ولزيادة البحث في هذا الموضوع نشير على القارئ الذي يرغب في التوسع إلى الاتصال بالجمعية العالمية لتعليم الكبار وعنوانها (The World Association for Adult Education, 16 Russel Square, London W.C.I)